أصول التلقي والاستدلال عند أهل البدعة والضلالة

فضيلة الشيخ عادل الشوربجي – حفظه الله تعالى –

أصول التلقي والاستدلال عند أهل البدع -شبن القناطر -كاملة .

لم أقف على الأشرطة رقم ٣و٦.

مقدمة

هذا المنهج : « أصول التلقي عند أهل السنة والجماعة » ، و « أصول التلقي عند أهل البدع »، هي مقدمة للدراسة كما ينبغي.

فهذه أصول لابد من معرفتها للتصويب والتخطئة وكيفية الردّ. حتى تستقيم أمورُنا ونطلب العلم كما ينبغي أن يُطلب.

أسباب معرفة أصول أهل البدع.

١- معرفة كيف يستدل أهل البدع على بدعهم وكيف ينشرون بدعهم.
   - كما حديث حذيفة بن اليمان قال : «كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأله مخافة أن يدركني ».
   - عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه *** ومن لم يعلم الشر من الخير يقع فيه.

٢- ربما يتلبس طالب علم بشيء من هذه الأصول، فيتوب إلى ربه عز وجل ويقلع عما وقع فيه. من الممكن أن يتلبس بمسالك أهل البدعة وهو لا يشعر.

٣- تحسن مناقشة أهل البدع.

تعريف البدعة.

قال الشاطبي : « طريقة مخترعة في الدين، تضاهي الطريقة الشرعية، يُقصد بها ما يُقصد بالطريقة الشرعية »[١].

الفرق بين البدعة والمعصية.

- العاصي يفعل المعصية وهو يعلم أنه عاصٍ لله.
- أما المبتدع يفعل البدعة وهو يظن أنه يتقرب إلى الله.

قال بعض السلف: « أشنع المعاصي ما ترى بأنها ليست معصية، وأشد منها في الشناعة ما ترى أنها طاعة ». كيف يتوب الإنسان من شيء يظن أنه يتقرب به إلى الله.

روى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أنس قال النبي ﷺ : (إنَّ الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة). أي لا يُوفق لها ولا يُهتدى إليها. ووجه ذلك أنه يظن أنه على طاعة.

قال الشافعي – رحمه الله تعالى : (لأن يلقى العبدُ ربَّه بكل ذنب خلا الشرك، أهون من أن يلقاه ببدعة).

وعليه كلُّ بدعة معصية، ليس كلُّ معصية بدعة.

تعريف المبتدع.

هو من فعل البدعة أو دعا إليها أو لم ينكر على من لم يفعلها أو آوى المبتدع أو سكت عنه.

لا توجد بدعة من غير مبتدع إلا في الذهن. أما في الواقع فلا بدعة إلا بمبتدع.

روى الإمام مسلم في صحيحه قال النبي ﷺ : (لعن الله من لعن والديه، لعن الله من غيَّر منار الأرض، لعن الله من آوى مُحْدِثًا). أيده، آزره، سكت عنه، لم يُنكر عليه، كل ذلك من أنواع الإيواء، كثَّر سواد المبتدعة.

منهج المبتدعة في التلقي والاستدلال.

---

[١] الشاطبي في الاعتصام

١- الأصل الأول : **ردّ النصوص الشرعية الثابتة والجرأة في الاعتراض عليها.**

أ. مصادر الأحكام الشرعية هي : القرآن، السنة، الإجماع والقياس.

ب. الرد يكون من وجوه :

- أن ينفي النصّ من أصله. والفرق بين أن يصح النصّ بشهادة أهل الاختصاص فيأتي من غيرهم فيرده، وبين لو كان من أهل الاختصاص. فهذا شيء آخر.

١. مثال على الردّ الصراح : قال معاذ بن معاذ: « سمعت عمرا[٢] يقول: إن كانت تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ في اللوح المحفوظ ، فما لله على ابن آدم حجة. وسمعته ذكر حديث الصادق المصدوق ، فقال : لو سمعت الأعمش يقوله لكذبته إلى أن قال : ولو سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقوله لرددته . »[٣]

- أن يعترض على النصّ بلسان حاله، لا بلسان مقاله.

٢- الأصل الثاني : **العبث في المصادر الشرعية الثابتة عند أهل السنة والجماعة.**

أ. وهذا الأصل، لجأوا إليه لمَّا عجزوا عن الأصل الأول في ردّ النصوص الشرعية.

ب. المصادر الشرعية الثابتة عند أهل السنّة والجماعة، أربعة متفقٌ عليها: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

ت. صور العبث من المبتدعة في المصادر الشرعية عند أهل السنة والجماعة. ترك أصل من أصول الاستدلال العشرة عند أهل السنّة يوقع المرؤ في الانحراف.

- **التصديق بالقرآن دون السنّة.**

١. حجتهم أن السنّة منها ما نقلت إلينا بالتواتر، ومنها ما نقل من غير تواتر، أمّا القرآن فقد نقل بالتواتر.

٢. القرآن والسنّة مجتمعان لا يفترقان، ومتفقان لا يختلفان. والمراد بالأول – أي عند البحث في مسألة شرعية – لابد أن يتم البحث في القرآن والسنة معًا. والمراد بالثاني أي يستحيل أن يتعارض نصان صحيحان صريحان من الكتاب والسنّة من كلِّ وجه. ولا يثبت التعارض بين الدليلين إلا إذا كان أحد الدليلين غير صحيح أو كليها غير صريح[٤].

٣. قالوا : يوجد نصوص من السنة تعارض صريح المعقول والاستدلال المحقق. كلمة « ثبوت المعقول » إياك أن تسلم لها من أول وهلة، قُل : من الذي قال؟ وهل هذا الثابت الذي ذكرته اتفق عليه كلُّ العقلاء أم عقلك أنت؟ لأن كل من رد من النصوص الشرعية الثابتة، ردها بصريح المعقول! وعند النظر و التأمل، حاشى أن يتعارض العقل الصريح مع النقل الصحيح[٥].

- **الإيمان ببعض النصوص والكفر ببعض الآخر.** [لم أقف على الدرس]

- **تحريف النصوص.**

١. فكل من حرف نصا من نصوص الشريعة سواء تحريف اللفظ أو تحريف المعنى أو تحريف الأدلة، ففيه شبه من اليهود.

٢. أنواع التحريف :

أ. **تحريف اللفظ.**

- يُقصد به أن يغير اللفظ بالزيادة أو النقصان أو تغيير الشكل ليتغير المعنى.
- قال ابن القيم الجوزية : نون اليهود ولام جهمي هما *** في وحي رب العرش زائدتان.
- تحريف المبتدعة للفظ الجلالة في قوله تعالى : (وكلم اللّهُ مسى تكليما) بنصب لفظ الجلالة. لنفي صفة الكلام لله.

ب. **تحريف المعنى، مع بقاء اللفظ على ما هو عليه.**

- المقصود من ذلك: صرف اللفظ عن معناه الظاهري وما يفهمه كلّ عربي من معناه إلى معنى آخر. وهو ما يسميه بعض المتأخرين بالتأويل.
- والتأويل عند المتقدمين من سلف الأمة ليس له إلا معنيين:
  ١. الحقيقة التي يؤول إليها الشيء.
  ٢. التفسير والبيان.
- التأويل عند المتأخرين من علماء السلف، أضافوا حالة أخرى من حالات التأويل

١. صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنا آخر دلت عليه لغة العرب مع وجود قرينة لهذا الصارف.

٢. تنقسم ألفاظ اللغة العربية باعتبار ما دلت عليه من معاني إلى ثلاثة أقسام:

- **النصّ** (عند الأصوليين): لفظ لا يدل إلا على معنى واحد فقط. حكمه وجوب العمل به وعدم تركه إلا عند وجود الناسخ. النصّ (عند الفقهاء) : هو الدليل الشرعي للمسألة.
- **الظاهر**: لفظ يحتمل على معنيين أو أكثر، وبعض المعاني أوضح أو أظهر من بعض (وهو الراجح أو الظاهر، والآخر هو المرجوح أو المأول). فيجب العمل بالظاهر، ولا ننتقل إلى المعنى الآخر إلا بالشروط الآتية مجتمعة. ١ استحالة العمل بالمعنى الظاهر، ٢ أن تدل لغة العرب على المعنى الآخر. ٣ وجود القرينة التي تحمل على العمل بالمعنى المرجوح. فإذا اختل شرط فلا يجوز، وهو ما يسمى بالتأويل الفاسد. مثال : (رأيت أسدًا) فالمعنى الظاهر هو المعنى المتبادر إلى ذهن السامع. المعنى المتبادر إلى الذهن عند سماع اللفظ هو المعنى المراد من كلّ لفظ، والأصل إجراء الألفاظ على حقيقتها.

---

[٢] عمرو بن عبيد الزاهد، العابد، القدري، كبير المعتزلة، وأولهم ، أبو عثمان البصري
[٣] سير أعلام النبلاء، عند ترجمة عمرو بن عبيد.
[٤] مشكل الآثار، شرح مختلف الحديث. كتابين لأبي جعفر الطحاوي.
[٥] درء تعارض العقل والنقل. لشيخ الإسلام ابن تيمية.

لفظ « يد » تطلق ويراد بها: الجارحة، القوة أو القدرة، النعمة والفضل. قال ابن قتيبة : « ولفظ يد إذا قطع عن الإضافة أو جاءت مثناة لا تُصرف إلا للجارحة ».

- **المجمل** (أو **المشترك**): لفظ يحتمل على معنيين أو أكثر ولا مرجح لمعنى على أخر. الواجب في هذه الحالة التوقف وعدم العمل حتى يأتي مرجح أو مبيّن للعمل بأحد المعنيين. لا يوجد في القرآن ولا في السنة مجمل إلا وقد بُيّن، ولا يوجد مشترك إلا وقد دلّ السياق على أحد معنييه.

ت. **تحريف الأدلة عن مواضعها.**

- قال الشاطبي: « وهو من الأنواع الخفية جدًا، ويقع فيه ممن يريد الخير وهو قليل البضاعة من العلم والفهم. وهو مدخل واسع لأهل البدع ». الشريعة مبنية على ركيزتين: ١ **إثبات الدليل**، ٢ **فهم الدليل**. ١ إثبات الدليل: ١ صحة نسبة القول إلى قائله، ٢ السلامة من المعارضة، ٣ السلامة من النسخ والاشتباه، ٤ صحة الاستدلال: مناسبة الدليل لما يستدل به عليه.
- أهل البدع بدأوا يحرفون الأدلة عن مواضعها. الشخص لا يحقق الاتباع في العبادات إلا إذا تحقق فيه ستة أمور: ١ السبب، ٢ الجنس، ٣ الكم أو القدر، ٤ الكيف، ٥ الزمان، ٦ المكان. العلماء قالوا: « أي عبادة أطلقها الشارع ولم يقيدها بقيد لا بزمان ولا بمكان فإذا أتى بها المكلَّف بزمان وبمكان بنيّة التعبد والتقرب إلى الله لأجل هذا الزمان وهذا المكان فقد ابتدع في دين الله ».
- قسم العلماء العبادات باعتبار ما دلت عليه الأدلة إلى ثلاثة أقسام :
  ١. عبادات لم يدل عليها دليل لا جملة ولا تفصيلا. (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) ، (الاختصاء في شريعة الإسلام).
  ٢. عبادات دل عليها الدليل جملة وتفصيلا. فهذه تُفعل كما جاء التفصيل.
  ٣. عبادات جاء النصّ بها جملة ولم يأتي بالتفصيل. ففي هذه الحالة تُفعل العبادات جملة، أما من فصّل تعبُدا فهو مبتدع.

- **ردّ أحاديث الآحاد وعدم العمل بها في أمور الاعتقاد.**
  ١. ردُّ أهل السنّة على من أنكر السنة إجمال، هو نفس ردُّ أهل البدع القائلين بالأخذ بأحاديث الآحاد عليهم. لأنهم ردُّوا عليهم.
  ٢. ردُّ أهل السنّة على القائلين بالأخذ بالمتواتر فقط[6].

- **القدح في أصحاب النبي محمد ﷺ.**
  ١. والغرض من القدح في الصحابة أمران : ١ القدح في النبي ﷺ ؛ قال الإمام مالك : « أرادوا أن يطعنوا في شخص الرسول فما استطاعوا ﷺ، فقالوا : له أصحاب سوء ». ٢ الطعن في المنقول الكتاب والسنّة؛ أي الطعن في الدين. قال الإمام أبو زرعة الرازي – رحمه الله – : « إذا رأيت الرجل يطعن في أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنّه زنديق، وذلك لأن القرآن حقّ والسنة حقّ وإنما نقلَ ذلك إلينا الصحابةُ، يريدون أن يجرحوا شهودنا و الجرح بهم أولى وهم زنادقة ».
  ٢. معتقد أهل السنّة والجماعة في الصحابة في كلّ كتب العقيدة موجود. إذا الخلاف فيه خلاف عقدي وليس خلاف فكري. يعني الذي يخالف فيه، فهو من أهل البدعة، بل ممكن أن يصل إلى الكفر الصريح.
  ٣. عقيدة أهل السنّة والجماعة، ما ذكره الإمام الطحاوي قال : « ونحب أصحاب النبي ﷺ ولا نفرط في حبّ أحد منهم، فحبهم طاعة وإيمان وإحسان، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، فبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وعصيانٌ ».
  ٤. **الصحابي**: كلّ من لقي النبي ﷺ وآمن به ومات على ذلك، وإن تخللتها ردت على الصحيح من أقوال أهل العلم.
  ٥. أي إنسان كان يطعن في أي صحابي من أجل دينه – انتقص الصحابي لأنه صحابي – فهذا كفر. أمّا انتقص الصحابي لأنه من قبيلة فلان فهذه كبيرة من الكبائر ملعون من فعل ذلك. أمّا من شكَّ في إيمان أحد من الصحابة؛ الذي نعتقده أنه لا شك في كفره، ولاكن تكفير نوع وليس تكفير عين إلا باستيفاء الشروط وانتفاء الموانع.

- **اتباع المتشابه.** [لم أقف على الدرس]
  ١. يأتي على النصوص المتشابهة ويتبعها.
  ٢. أسس الاستدلال الباطل ثلاث: نقل كاذب، نقل صحيح لا يدل، قياس فاسد.

- **الكذب على الرسول ﷺ.** [لم أقف على الدرس]
  ١. أن يتعمد الكذب.
  ٢. أن يروي الأكاذيب دون أن يبينها. يقول روى الطبراني قال رسول الله ﷺ ، وهو يعرف أنه حديث ضعيف أو مكذوب، ومع ذلك يرويه.

- **استدلال المبتدعة بالنصوص الشرعية الثابتة عند أهل السنّة والجماعة للاعتضاد لا للاعتماد.**
  ١. والحجج الباطلة السمعية واحدة من ثلاثة[7] :
     أ. نقل كاذب،
     ب. قياس فاسد،
     ت. نقل صحيح لا يدل.
  ٢. هذا الأصل مبني على قاعدة خبيثة و هي : الاعتقاد أولاً ثمّ الاستدلال. يعتقد الرجل أولا اعتقادا معينا، وبعد أن يعتقد ويرسخ المعتقد في ذهنه يبدأ يستدل عليه، فلا يجد نصوص تساعده إلا من وجه بعيد. فيعتضد بالنصوص ولا يعتمد عليها. فعند استدلالهم بالنصوص الشرعية فإنهم لا يستدلون بها تعظيما لها ووقفا عند حدودها بل يقررون ما يريدون ثمّ يستدلون بالنصوص لتوافق رأيهم. وهذا المنهج في غاية الخطورة والانحراف، فهم بذلك يجعلون النصّ الشرعي تابعًا للهوى فهو المقدم وعليه المعتمد، وإذا جاء النصُّ مخالفا لأهوائهم ردّوه أو حرفوه.

---

[6] انظر : مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية. وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة، الحديث حجة بنفسه ، للشيخ الألباني.

[7] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. (٧/ ٤١٩) لشيخ الإسلام.

٣. نقل مكذب : التفريق بين كتابة الحديث وتدوين الحديث. كتابة الحديث كان منذ زمن النبوة. تدوين الحديث هو ترتيبه أبوابه و غير ذلك، هذا كان في عهد عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى –.

٤. نقل صحيح لا يدل : قولهم أن النبي ﷺ تنازل عن العقيدة في صلح الحديبية. نعم لو قال صهيب : أكتب بسمك اللهم الذي ليس برحمان ولا رحيم.

٥. قياس فاسد:

- **كتم النصوص الشرعية التي لا توافق أهوائهم.**

١. من أصول أهل السنة في التلقي والاستدلال أن يبحث عن النصوص الشرعية الواردة في الباب الواحد، ولا يكتم شيء منها ولا يترك شيء منها، لأن الشريعة كلٌّ لا يتجزأ وهي بمثابة صورة واحدة، لا يجوز النظر إليها إلا والصورة مكتملة، ولن تكتمل الصورة كلها إلا بجمع النصوص الشرعية كلها من كتاب الله عز وجل ومن سنَّة النبي ﷺ.

٢. أهل البدع لا يذكر النصوص التي تخالف أهوائهم. المرجئة لا يذكرون نصوص الوعيد. والخوارج لا يذكرون نصوص الوعد.

٣. ترى كثير من أهل البدعة يرد ويطعن يكتم كثير من الأحاديث الصحيحة، لأنها ترد بدعته. و إذا كان الحديث يؤيد بدعته يرفع من شأنه ويروج له. لذلك حديث احتجاج آدم وموسى – عليها وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – الجماعة القدرية لغو الحديث ونفوه مطلقا قالوا يتصادم مع العقل. الجماعة الجبرية قالت وهذا الحديث عمدتنا. لأنهم فهموا منه أن آدم – ﷺ - استدل بالقضاء والقدر على المعصية، وحاشاه أن يفعل ذلك.

- **جهل أهل البدعة بلغة العرب.**

١. ووجه ذلك أن الألفاظ لغة العرب التي من جنسها ألفاظ القرآن والسنَّة لها معانٍ وتدل على معانٍ معينة، ومعنى الألفاظ يتوقف على **السياق**، على **التقديم والتأخير**، على **الإفراد والاقتران**، على **حالة المخاطِب**، و**حالة المخاطَب**. فلما جهلوا لغة العرب بدأوا يستدلون بنصوص الكتاب والسنَّة لكن في غير مواضعه.

٣- الأصل الثالث : **البحث عن مصادر جديدة والاستدلال**.

أ. بعد أن تجرأ المبتدعة في رد النصوص الشرعية، واعترضوا عليها وعبثوا في الأصول الشرعية عند أهل السنَّة، كان لزاما أن يبحثوا عن أصول جديدة للاستدلال، إما بديلة عن الأصول الشرعية وإما مزاحمة لها.

ب. لأنه يستحيل أن توجد طائفة ليس لها أصول للتلقي والاستدلال. لما نقول الجماعة الفلانية مبتدعة فإننا نحكم على أصولها لا نحكم على أفرادها وشخوصها. كلٌّ فرقة على وجه الأرض فإن لها أصول.

- المعتزلة لهم خمسة أصول : التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المنزلة بين منزلتين.
- جماعة التبليغ : ابحث عن أصولهم و لا تنشغل بفروعهم، فستجد أنهم صوفية أقحاح مشركة.
- حسن البنا : كلّ من كتب عنه قال بأنه كان حصافي.
- كذلك كلّ مبتدعة، فتّش عن أصوله. أنظر إلى الأصل الذي عليه أسسوا جماعتهم. هل هو أصل شرعي أم بدعي.

ت. و**تنحصر أصول المبتدعة في التلقي والاستدلال في ثلاثة** :

- **تقليد الأئمة والشيوخ.**
- **الكشف والإلهام.**
- **الغلو في العقل.**

ث. الأصل الأول : **تقليد الأئمة والشيوخ.**

- « لا كهنوت في الإسلام » . الكهنوت يعني مثل قولك: قال فلان.
- لما سأل الإمام أبو داود للإمام مالك : « الإمام الأوزاعي أهلا لأن يقلد » – وهو شيخ الإسلام في زمانه – قال : «لا تقلد في دينك أحد». عندي دليل عندي سلف.
- ضابط التقليد هو اتباع قول من ليس بحجَّة. وحكمه في شريعة الإسلام كأكل الميتة لا يجوز إلا عند الضرورة.

١. وينقسم الناس باعتبار تعاملهم مع النصوص الشرعية إلى ثلاثة أقسام:

أ. **المجتهد**: وهو من توفرت فيه شروط الاجتهاد ويتعامل مع النصوص مباشرة للوصول للأحكام. كالليث ابن سعد والأوزاعي. شهد له من قبله زكاه وعدله وقال له : آن لك أن تفتي. و يلزم التفريق بين هذه الحالات: أن يطلب العلم على شيخ، وبين أن يزكّيه الشيخ، وبين أن يجيزه في تدريس العلوم، وبين أن يشهد له بالاجتهاد.

ب. **المتبع**: وهو الذي يتبع قول العالم لأن العالم اتبع الدليل.

ت. **المقلد**: هو اتباع قول من ليس بحجة بغير معرفة الدليل. فكل من اتبع شخصا عدا النبي ﷺ وعلم أنه مخالف للدليل، فهو مبتدع.

٢. دَأْبَ المبتدعة في كل وقت وحين على تقليد أئمتهم وشيوخهم حتى ولو خالفوا الدليل. وسلفهم في ذلك أهل الشرك؛ قال ربنا عز وجل عنهم: (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا)، وقال تعالى (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون).

٣. من أبرز المنحرفين من المبتدعة في هذا الأصل:

أ. **جهلة مقلدة الأئمة الأربعة** (بدعة التعصب المذهبي): وهم الذين عظموا الأئمة المتبوعين، وجعلوا أقوالهم هي المعيار في القبول والردّ وقدموها على الكتاب والسنَّة. قال الإمام الكرخي (قبل أن يشرح الله صدره) :«كلّ آية تخالف ما عليه أصحابنا فهو مأولة أو منسوخة، وكل حديث مأول أو منسوخ». وهذه البدعة يؤصل لها في المؤسسة الرسمية. الأئمة برآء من ذلك كله؛ قال الشافعي توفي سنة ٢٠٤: « أجمع الناس على أنّ من استبانت له سنَّة عن رسول ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من البشر».

ب. **الصوفية الباطنية**: الذين عظموا الأولياء والأقطاب، وسلموا لهم بكل ما يقولون، بل وصل الأمر بهم إلى أنهم جعلوا المريد مع شيخه كالميت بين مُغَسِّلِه. وقال قائلُهم : مقام النبوة في برزخ *** فُوَيْقَ الرسول ودون الولي.

ت. **الفلاسفة:** الذين عظموا فلاسفة اليونان كأرسطوا و أمثالهم، وقلدهم في مَنْطِقِهِم وعارضوا الكتاب والسنة بأقوالهم. والعجيب من شأنهم أنهم ينهون عن تقليد الرسل ويقلدون الفلاسفة. قالوا : لا تتبع محمد و اتبع ابن الفارض.

ث. **الرافضة الإمامية الإثنا عشرية الشيعة** – لعنة الله عليهم – : وأصل قولهم « أنَّ النبي ﷺ نصَّ على أنَّ علي بن أبي طالب إمام معصوم ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا ذلك » . كيف عرفوا ذلك، من نقل إليهم هذا الكتمان؟ و قد نصوا على عصمة اثنا عشرة إماما لا يُخطئون قط؛ أولهم علي بن أبي طالب و آخرهم المحبوس في سرداب سامراء.

ج. الأصل الثاني : **الكشف والالهام.**

- وهو كفرٌ، ويفضي بصحابه إلى وحدة الوجود.
- كثرة الترويج لبضاعتهم وهذا مكمن الخطورة ككثرة ورود كلامهم مثل : « حكم عطاء الله السَكَنْدَري ». ولذى « اتسع الخَرق على الراقع » فاتقوا الله واستعدوا واعملوا لدين الله قبل أن يسقط، وحينئذ سيكون الثمن غاليا.
- بمعنى أن الأئمة أو بعضهم يُكشف له من معاني القرآن والسنّة عن أمور لا يعلمها أَحَدٌ من علماء الشريعة. من خلال من هذه المكاشفات والالهامات يتم التلقي والاستدلال. كقول بعضهم : « حدثني قلبي عن ربي ». يقول أبو حامد الغزالي[8] : « والخلوة لا تكون إلا في بيت مظلم فإلم يكن له مكان مظلم فليغطِ رأسه، وليقتصر على الفرائض والرواتب، وليذكر الله بالاسم المفرد المجرد. [الله] على الدوام مع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه ، ففي هذه الحالة يسمع نداء الحق، ويشاهد جلالة الحضرة النبوية. »[9]. وزاد بعضهم حتى زعموا أن الله تعالى يخاطبهم كما خاطب موسى بن عمران. قال شيخ الإسلام : « فَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِلْهَامِ وَالْخِطَابِ وَالْمُكَاشَفَةِ لَمْ يَكُنْ أَفْضَلَ مِنْ عُمَرَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَهُ فِي الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَجْعَلُ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ تَبَعًا لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ »[10]. قال الإمام القرطبي : « وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري وإجماع السلف والخلف على أنَّه : لا طريقَ لمعرفة الأحكام الشرعية لله تعالى التي هي راجعةٌ إلى أمره ونهيه ولا يُعرفُ شيءٌ منها إلا من جهة الرسل. فمن قال أن هناك طريقًا أخرًا يُعرف بها أمره ونهيه غير الرسل فهو كافرٌ يُقتل ولا يُستتاب، ولا يُحتاجُ معه إلى سؤال وجواب. » .
- إذا كنا نريد عن الأحكام الشرعية ؟ أين أدلتك؟ كلام الشرع كلام عرب. وكلام العرب له معاني. وما سمعنا قط في كلام العرب أن « الجبت والطاغوت » هو أبو بكر وعمر هذه ما سمعناها. ومثل هذا كثير. لذلك قال شيخ الإسلام لما حذر من هذا المسلك فقال : « ومن فسّر القرآن والحديث بغير ما فسره الصحابة والتابعون فهو مفتر على الله، ملحدٌ في آيات الله محرف للكلم عن مواضعه وهذا فتح لباب الزندقة والشرك والكفر »[11].
- قول النبي ﷺ في الحديث : « استفتِ قلبك »[12]. الحديث له مناسبة، وما ينبغي أن نتكلم في تفسير آية أو حديث له مناسبة إلا وتذكر مُقدمًا. المناسبة أنَّ وابصة بن معبد جاء النبي ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « جئت تسأل عن البر، استفت قلبك. البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في صدرك وتردد في النفس وكرهت أن يطلع عليه أحد وإن أفتاك الناس وأفتوك. ». إذا ذهبت عند رجل ليفتيك، فالرجل أفتاك ، ولكن ليس عليه دليل واضح. أنت قلبك غير مستريح، هنا استفت قلبك واجعلها من المتشابه وابتعد عنه. أما العكس، لو أفتى بالحرمة و قلبك غير مطمئن فهنا لا ينفع أن تستفتي قلبك.
- من أعلى الأمة إلهاما هو عمر بن الخطاب ، قال رسول الله ﷺ : « إن يكن منكم محدثون من بعدي فعمر ». المحدَّث والملهَم. ومع ذلك عند البخاري من حديث أبي وائل عن عثمان بن أبي طلحة يقول قال لي عثمان : « يا أبا وائل جلس في مجلسك هذا عمر بن الخطاب وقال لي : يا عثمان لقد هممت ألا أدع فيها [أي الكعبة] بيضاء و لا صفراء إلا انفقتها في سبيل الله. فقال له عثمان بن أبي طلحة : يا أمير المؤمنين لستَ بفاعل. فقال عمر : ولما وأنا أمير المؤمنين؟ قال : لم يفعله صاحباك. فقال : هما المرآن يقتدى بفعالهما. ». وهذا هو الاعتصام. جال في خاطر عمر أن يستعمل هذا المال في الانفاق على المسلمين، وهو المحدَث الملهم، مع وجود المقتضى للفعل وكثرة الحاجة إليه، ومع ذلك لم يقتربا منه، فكيف تقترب منه؟ فقال : « هما المرآن يُقتدى بفعالهما ».

ح. الأصل الثالث : **الغلو في العقل.**

- للعقل منزلة جليلة في الإسلام، فقد جعله الله تعالى أداة الفهم ومناط التكليف. وأمر بحفظه و حرّم كلَّ ما يفسده أو يؤثر عليه. وأمر الناس بالتدبر والتفكر والتعقُّل، ولقد ذم الله المشركين الذين عطلوا حواسَهم فقال تعالى : (صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون). وقد ذكر العلماء أنَّ من أنواع أدلة الاحتجاج، الدليل الشرعي العقلي.
- وضابطه: أن يأمر الشارع باستخدام العقل للوصول لشيء معين؛ مثال ذلك : قل تعالى (إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثمَّ تتفكروا ما بصاحبكم من جنَّة) .
- لكن القضية أنَّ الجماعة خلطوا بين العقل والهوى، فجعلوا الهوى هو العقل. فكل ما خالف هواهم قالوا : الإسلام يخالف العقل. ولبسوا على الناس وجعلوه [أي الهوى] عقلا.
- ما يوجد على وجه الأرض شريعة اهتمت بالعقل واحاطته بكل وسائل الحفظ كشريعة الإسلام، بدليل : « نهى النبي ﷺ عن كلّ مسكر ومفتر ».
- العلاقة بين العقل والنقل في شريعة الإسلام.

١. العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، بل يشهد له و يؤيده لأن المصدر واحد. فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل. فمن المحال أن يُرسل إليه ما يُفسده.
٢. [أصل عظيم] الشريعة الإسلامية تأتي بما تَحار فيه العقول، لا بما تُحيله العقول. فإذا أحال العقل شيء مما جاء به الوحي فهذا العقل منكوس.
٣. وقد انحرف الناس في إعمال العقل إلى طرفان ووسط:

أ. القسم الأول : المفرطون في إهمال العقل: وهو المتصوفة الجهال الذين ألغوا عقولهم، وقالوا « المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي مُغسِّله ». وقالوا: « كلما كان الشيخ أحمق وأجهل كان بالله أعرف وعندهم أعظم »[13].

ب. القسم الثاني : المقدسون للعقل : وهم المتكلمون والجهمية والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع الذين قدسوا العقل وجعلوه ندّا للشرع، بل حاكما على الشرع. مثال : فقه الواقع، المصلحة والمفسدة.

---

[8] والثابت والصحيح أنَّ أبا حامد الغزالي تاب، فلا يجوز الكلام فيه. ولكن نتكلم في الذي خلفه؛ اذر إحياء علوم الدين، احذر المكاشفات، لأنها ضلال.
[9] انظر : إحياء علوم الدين. (٧٦/٣).
[10] مجموع الفتاوى (١٣/ ٧٤).
[11] وتمام لفظه : « وَقَدْ تَبَيَّنَ بِذَلِكَ أَنَّ مَنْ فَسَّرَ الْقُرْآنَ أَوْ الْحَدِيثَ وَتَأَوَّلَهُ عَلَى غَيْرِ التَّفْسِيرِ الْمَعْرُوفِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُوَ مُفْتَرٍ عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ فِي آيَاتِ اللَّهِ مُحَرِّفٌ لِلْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَهَذَا فَتْحٌ لِبَابِ الزَّنْدَقَةِ وَالْإِلْحَادِ وَهُوَ مَعْلُومُ الْبُطْلَانِ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ. ». مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٤٣).
[12] حديث وابصة بن معبد حينما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك. وعلق عليه النووي بقوله: حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن.
[13] انظر في كلام القشيري، وفي كلام ابن عربي، ترى العجب.

ت. القسم الثالث : وهم الوسط أهل السنّة والجماعة، يُعملون العقل لمعرفة دلالات النصوص ومعرفة أحكام الشريعة، ولا يَنْخَرِمون عن أصول اللغة وعن أصول العلم.

تصور مسالك المبتدعة

أهل البدع صنعوا في مصادر التلقي والاستدلال عند أهل السنة والجماعة أمران

- ردّ النصوص الشرعية الثابتة عند أهل السنّة.
- ولما عجزوا عن ردّها؛ عبثوا فيها.

بعد هذين الأمرين اضطروا إلى أن يبحثوا عن أصول جديدة للتلقي والاستدلال لهم. لأنه كان لزاما أن تكون لهم مصادر.

أولا: **اعترضوا على النص الشرعي وردوه**.

سبق قول عمرو بن عبيد. لما وجدوا هذا الأمر مستقبح ومستهجن عند الناس تركوه ولجأوا إلى أمر آخر وهو

ثانيا: **العبث في النصوص الشرعية الثابتة عند أهل السنّة والجماعة**.

العبث هذا له عشر صور، من جملتها :

- يؤمن بالقرآن دون السنّة. هم قسمان : قسم اكتفوا بالقرآن دون السنة إجمالا، القسم الثاني : آمنوا ببعض نصوص السنّة وتركوا البعض؛ زعما منهم أنها تخالف نصوص القرآن أو تخالف المعقول. والذي رفع هذا الشعار قديما المعتزلة، ومشى على دربهم كثير من المتأخرين منهم محمد عبده، وكان من خلفه محمد الغزالي السقا، ومن خلفه جمال البنا، ومن المعاصرين محمد إسماعيل منصور، كل هؤلاء يطعنون في السنّة طعنا ليس له نظير.
- تحريف النصوص.
- الكذب على رسول الله. ولهم فيه مسلكان:
  ١. أن يتعمد الكذب.
  ٢. أن يروي الأكاذيب دون أن يبينها. يقول روى الطبراني قال رسول الله ﷺ ، وهو يعرف أنه حديث ضعيف أو مكذوب، ومع ذلك يرويه.
- اتباع المتشابه.
  ١. يأتي على النصوص المتشابهة ويتبعها.
  ٢. أسس الاستدلال الباطل ثلاث: نقل كاذب، نقل صحيح لا يدل، قياس فاسد.
- الجهل بلغة العرب. أو يتجاهل لغة العرب.

الذين ردوا عليهم هم أهل السنة والجماعة بالحجة والبيان.

ثالثا : **بحثوا عن مصادر أخرى للتلقي والاستدلال**.